المحاضرة الثالثة:

إعادة بناء الحركة الوطنية

ألقت السلطات الاستعمارية بعد حوادث 8 ماي 1945 القبض على زعماء "حزب أصدقاء البيان والحرية" الذي حل بموجب قرار صدر في ماي 1945، كما أعلنت حالة الطوارئ من جديد واعتقل، أيضا "الشيخ الإبراهيمي" الذي سيق إلى السجن العسكري بالعاصمة ليلا يوم 27 ماي 1945[1].

وفي خضم هذه الظروف أعلنت السلطات الاستعمارية على تخصيصها لخمسة عشر مقعدا لصالح الجزائريين المسلمين في انتخاب الجمعية التأسيسية الأولى في أكتوبر 1945، غير أن حزب أصدقاء البيان طالب بمقاطعة هذه الانتخابات بسبب ما خلفته أحداث 8 ماي 1945، من تقتيل وتدمير، حيث مست الدعوة للمقاطعة حوالي 54.48بالمائة من مجموع الناخبين الجزائريين، وفاز فيها جماعة "بن جلول" بـ 7مقاعد والبقية كانت من نصيب الشيوعيين الجزائريين[2].

وبصدور العفو العام بتاريخ 16 مارس 1946 أطلق سراح كل من فرحات عباس والإبراهيمي، كما استفاد عشرات الآلاف الجزائريين المعتقلين من هذا العفو، وبذلك بدأت الحياة السياسية تعود إلى الجزائر تدريجيا، مما سمح بإعادة تشكيل الحركة الوطنية.

1. الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري :

بادر فرحات عباس في شهر مارس 1946 بتأسيس حزب سماه "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" (U.D.M.A)[3]، معلنا بذلك انفصاله التام عن "أصدقاء البيان والحرية"،

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص215.

[2] Charles Robert AGERON, Histoire de l'Algérie contemporaine, Edition DAHLEB, Alger, 1997, P93.

[3] L'union démocratique du manifeste Algérien.

ورفضه العمل مستقبلا مع "حزب الشعب الجزائري"، وضم الحزب الجديد في صفوفه فئة النخبة، والموظفين والتجار والحرفيين[1].

ومنذ تأسيسه شرع في نشاطه على ثلاث جبهات متكاملة هي على التوالي :[2]

1- جبهة التنظيم الحزبي، حيث شرعت القيادة في تنصيب الخلايا والقسمات والاتحادات مستثمرة رصيد حركة أحباب البيان والحرية، ومستغلة حالة السرية التي كان يمر بها حزب الشعب الجزائري.

2- الجبهة الإيديولوجية قصد ضبط منظومة الأفكار التي كانت تشكل مشروع المجتمع الجزائري، كما كان يتصوره قادة الاتحاد، وفي مقدمتهم "فرحات عباس"، الذي اقتنع بأن فكرة دمج الشعب الجزائري في الشعب الفرنسي غير قابلة للتنفيذ لأنها مرفوضة من الطرفين.

3- جبهة النشاط السياسي وتتميز خاصة بعمل القيادة على إعادة الربط مع الشركاء في حركة أحباب البيان والحرية من جهة، وعلى محاولة إقناع الرأي العام الفرنسي بسلامة توجه الحزب الجديد من جهة ثانية.

من هذا المنطلق خاض الحزب الجديد معركة الانتخابات للبرلمان الفرنسي بتاريخ 02 جوان 1946، التي قاطعها حزب الشعب الجزائري، تعبيرا عن معارضته للسياسة الفرنسية بالجزائر، ولاسيما وأن مأساة حوادث 8 ماي لا تزال مخيمة على الحياة الجزائرية العامة، وعلى إثر انتخابات 1946 تحصل UDMA على إحدى عشر (11) مقعدا من بين ثلاثة عشر مقعدا مخصصة للجزائريين[3].

وعن الأسباب التي دفعت UDMA إلى المشاركة يقول فرحات عباس : "وبقي علينا أن ندافع عن برنامجنا في باريس حتى نعطيه صبغة قانونية وشرعية، وليس هذا بالأمر الهين، لأنه كان علينا أن نكافح في ميدان مجهول لدينا، وكانت وسائلها ضعيفة...، ففي

[1] Henri JACQIN, La guerre secrète en Algérie , Edition olivier orban, Paris, 1977. P16.

[2] العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص111.

[3] Charles Robert Ageron, OP CIT. P93

ظرف خمسة اشهر، بذل الأحد عشر نائبا جهودا جبارة لبناء صرح جديد يرضي مصالح الجميع وسط مجلس يبدي عدم اكتراثه بقضيتنا..."[1].

فمن خلال هذا التصريح يتضح أن السياسة الاستعمارية عازمة على الوقوف بشدة ضد مشروع الثورة بالقانون الذي نادى به زعيم UDMA، وأن فرنسا الجديدة، مثل "فرنسا القديمة" ترفض الحديث عن أي مشروع بخصوص إصلاح أوضاع الجزائريين.

وعن مطالبة UDMA قال فرحات عباس : "ولكي نخرج من الطور النظري إلى الطور العلني وضعنا على منصة مجلس النواب مشروع تأسيس الجمهورية الجزائرية"[2]، ثم واصل صاحب كتاب "ليل الاستعمار حديثة عن مواد المشروع لمطالب UDMA وهي تسعة، من بينها ما يلي :[3]

- المادة الأولى : إن الجمهورية الفرنسية تعترف بالاستقلال الذاتي التام للجزائر وتعترف في نفس الوقت بالجمهورية الجزائرية، وبحكومتها، وبرايتها.
- المادة الثالثة : تتمتع الجمهورية الجزائرية بالسيادة المطلقة، وتشرف على جميع المرافق الداخلية وحتى على الشرطة.
- المادة الرابعة : يتمتع كل فرنسي بالجزائر بالجنسية الجزائرية، وعليه فيتمتع بجميع الحقوق المخولة للمواطن الجزائري، وحتى حق التصويت، وتقليد الوظائف العمومية.
- المادة السابعة : اللغة الفرنسية واللغة العربية هما اللغتان الرسميتان في الجمهورية الجزائرية.

ومن خلال هذه المطالب يتضح أن كل ما كان يسعى إليه UDMA كان عبارة عن مشروع متطور في حدود المطالب الاعتدالية السابقة، وبذلك فهو لم يصل إلى المطلب

---

[1] محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830 – 1954م، المؤسسة الوطنية للإشهار، الجزائر، 1994، ص222.

[2] فرحات عباس، المصدر السابق، ص134.

[3] نفسه، ص134 – 135.

الوطني الجماهيري، لأن مشروع فرحات عباس يدور في فلك "الاتحاد الفرنسي" أي تكريس سيطرة الشريك الفرنسي في جميع المجالات لفترة طويلة.

2. حركة الانتصار للحريات الديمقراطية :

قوبل الافراج عن "مصالي الحاج" في 11 أوت 1946 ونقله من "برازفيل" إلى "باريس" بفرحة عارمة من قبل المهاجرين الجزائريين في فرنسا[1]، ثم بعد ذلك نقل إلى الجزائر في 13 أكتوبر 1946 ليوضع في إقامة ببوزريعة (أي العاصمة)، ومنع من التنقل إلى المدن الكبرى، ومن التجوال في أحياء العاصمة وبعد عودته فاجأ مصالي الحاج بعض المناضلين بقرار المشاركة في الانتخابات لاختيار نواب المجلس التأسيسي الفرنسي الثاني، وكانت القاعدة متحفظة بخصوص هذه المسألة، فشرع قادة الحزب في طمأنتها(القاعدة) بأن خيار المشاركة في الانتخابات لا يعني تغيير توجيهات الحزب، وإنما خطة لإخراج الحزب من السرية واستغلال منصة الشرعية الانتخابية للتنديد بالاستعمار[2]، ومن أجل ذلك اتخذت قيادة حزب الشعب الجزائري قرار تأسيس حركة الانتصار للحريات الديمقراطية "MTLD"[3] كواجهة شرعية قانونية لحزب الشعب الجزائري غير المعترف به قانونا من طرف السلطات الاستعمارية، واعترفت الولاية العامة بالحزب الجديد "MTLD"، وسمحت له بترشيح رجاله للانتخابات البرلمانية المزمع إجراؤها في نوفمبر 1946، والتي قاطعها حزب "فرحات عباس" "UMDA" ليترك المجال حرا لحزب مصالي الحاج " MTLD"[4]، حيث كتب "فرحات عباس" في هذا المضمون: إن تجمع أحباب البيان والحرية سيمتنع عن تقديم مرشحين للانتخابات التشريعية لتمكين مصالي الحاج من مواجهة الرأي العام الفرنسي وبرلمانه، إن مصالي الحاج حصل على ضمانات وزارة الداخلية والولاية

---

[1] ALI HAROUN, et autres, MESSALI HADJ, 1898 – 1998 parcours et Témoignages, CASBAH Editions, Alger, 1998. P24.

[2] أحمد مهساس، المصدر السابق، ص272.

[3] Mouvement pour la triomphe des libertés démocratique.

[4] محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص223.

العامة في الجزائر بأن القوائم الانتخابية التي سيقدمها حزب الشعب ستعتمد، وبناءا على ذلك ترشح للانتخابات وطلب مني الانسحاب من المنافسة تحاشي لانشقاق القوى الوطنية[1].

وعلى الرغم من العراقيل والضغوط، فاز خمسة من قيادي حزب الشعب الجزائري، وقد اثارت تدخلات "مسعود بو قادم"، أو الدكتور "الأمين الدباغين"، بصفة خاصة حفيظة النواب الفرنسيين على اختلاف انتمائهم السياسي، حيث قوطع تدخل الدكتور الأمين عدة مرات بكيفية صاخبة، لأن مداخلاته كانت عبارة عن مرافعة ضد النظام الاستعماري الذي لا يحترم وعودا ولا عهودا[2].

ويكمن الفرق بين نواب "البيان" "UDMA"، ونواب الحركة "MTLD" في أن البيانيين كانوا يطرحون القضية الجزائرية، وكأنها جزء من القضية الفرنسية ويطالبون بحلها في إطار القوانين الفرنسية (الثورة بالقانون)، بينها نواب حركة الانتصار للحريات الديموقراطية، فهم لا يعترفون أساسا بالسيادة الفرنسية على الجزائر، ويعتبرونها سيادة مفروضة بالقوة على الشعب الجزائري، والحل الوحيد وفق فلسفة الحزب هو الاستقلال التام، ليتكمن الجزائريون من إدارة شؤونهم بأنفسهم، وعلى هذا الأساس احتفظت الحركة " MTLD " بنفس برنامج حزب الشعب، الذي هو نفسه برنامج "نجم شمال إفريقيا"، الذي تطور تحت تسميات مختلفة، ولكن برنامج واحد هدفه الجلاء التام للجيش الفرنسي عن الجزائر، والدعوة لتكوين جيش منظم.

وقصد الوصول إلى الهدف المنشود اعتمد الحزب تنظيما هيكليا عبر التراب الوطني، فكانت كل ولاية مقسمة إلى دوائر تضم بضعة قسمات، وتتألف كل قسمة من أجزاء يضم كل منها عدة مجموعات، وكل مجموعة لا يتجاوز عدد أعضائها 5 أو 6 مناضلين، وتتكون لجنة الجزء من مجموع رؤساء المجموعات، وهكذا دواليك في السلم التصاعدي إلى الولاية[3]، وعن التنظيم الهيكلي للحركة ذكر "أونري جكان" "Henri Jacquin" أنه منقول عن

---

[1] أحمد مهساس، المصدر السابق، ص273.
[2] محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص223.
[3] أحمد مهساس، المصدر السابق، ص302.

الهياكل التنظيمية الشيوعية التي يصعب اختراقها، وأن هذا التنظيم هو الذي سوف يعتمد من طرف جبهة التحرير الوطني فيما بعد[1].

وبذلك انصهر آلاف المناضلين في بوتقة النضال السياسي اليومي في انتظار العمل المسلح المرتقب، كما كان للحركة صحافة نشيطة منها (الجزائر الحرة وهي جريدة أسبوعية بالعربية، بالإضافة إلى المنار التي تصدر كل شهرين بالعربية، وكذلك جريدة الأمة الجزائرية وهي شهرية تصدر سريا)[2].

لقد كانت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية طبيعة متميزة عن باقي تيارات الحركة الوطنية من حيث المبادئ والبرامج والأهداف والمطالب، ما جعلها تشكل جوهر الحركة الوطنية الجزائرية وعمودها الفقري من خلالها مطلبها الأساسي المتمثل في الاستقلال الوطني.

3. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

عادت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد حوادث ماي إلى نشاطها برئاسة جديدة تولاها "الشيخ البشير الإبراهيمي" وقد ركزت نشاطها على تأسيس شبكة واسعة من المدارس الحرة في المدن والقرى، وعلى بناء المساجد الحرة، التي شهدت إقبالا واسعا، بالإضافة إلى تأسيس الجمعيات، ونشر اللغة العربية، مما ساعد على إرجاع الثقة إلى نفوس الجزائريين وشعورهم بالكرامة[3].

وتعمق ذلك الاعتزاز بعدما توجت نشاطها الثقافي والديني بتأسيس معهد "عبد الحميد بن باديس" بقسنطينة، الذي استقبل الطلاب الجزائريين، حيث كان هؤلاء في الماضي يهاجرون إلى تونس، وإلى المغرب لمزاولة دراستهم بالزيتونية أو القرويين، كما شرعت الجمعية إصدار السلسلة الثانية من صحيفة "البصائر" التي أوقفتها في بداية الحرب العالمية

---

[1] Henri Jacquin, OP CIT. P20.

[2] Ibidem

[3] محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد، صالح المثلوثي، سلسلة صاد للنشر، الجزائر، 1994، ص119.

الثانية[1]، ظلت الجمعية وفية لمبادئها التي لخصها شعارها "الاسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"، فالإسلام يحتل المرتبة الأولى في رؤية العلماء باعتباره القوة الوحيدة القادرة على توحيد مختلف عناصر المجتمع، لذا طالبت الجمعية بفصل الدين عن الدولة الاستعمارية، وتطبيق القضاء الإسلامي على الجزائريين فيما يخص الأحوال الشخصية.

أما حول قضية اللغة، فهي في منظور الجمعية من ابرز ركائز المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية، باعتبارها لغة القرآن، وهي ليست أداة لنشر المعرفة فحسب، بل هي دعامة الدين الإسلامي، وعلى هذا الأساس فتجديد اللغة العربية لا يهدف إلى وضعها في مستوى المزاحمة مع اللغة الفرنسية، بل جعلها بمثابة الحاجز أمام التأثيرات الأجنبية[2].

وطبقا لشعارها، ناضلت جمعية العلماء المسلمين ضد كل ما يمس أحد مقومات الشخصية الجزائرية من قريب أو بعيد، وذلك بمحاربتها للتنصير والفرنسة، والتجنيس، والاندماج في فرنسا، وفي هذا الصدد ذكر "البشير الابراهيمي" : "إن جمعية العلماء أشرف من أن تعمل لغير مبادئها أو تسخر في خدمة الغير، يا حضرة الاستعمار إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاحه عقائده، وتفهيم حقائقه، وتطالبك باستقلال قضائه، وتطالبك بحرية التعليم العربي، وتدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن، وتعمل لإحياء اللغة العربية وآدابها وتاريخها..."[3].

وبصفة عامة فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبت دورا هاما في نهضة الجزائر، وصمود شعبها ضد الاحتلال.

4. الحزب الشيوعي الجزائري :

لم يكن الحزب الشيوعي الجزائري سوى تابع للحزب الشيوعي الفرنسي الذي تجند لخدمة المصلحة الفرنسية منذ قيام الحرب العالمية الثانية، غير مهتم بمصير الشعب

---

[1] محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص218.
[2] محمد حربي، المرجع السابق، ص118.
[3] جريدة البصائر، ع3، 1974/08/08.

الجزائري، حيث اتضح ذلك من خلال عدم انضمامه إلى حركة "اصدقاء البيان والحرية" التي ترأسها "فرحات عباس" والتي جاءت كرد فعل على أمرية الجنرال "ديغول".

ولم يكتف الشيوعيون الجزائريون بعدم الانضمام إلى حركة البيان والحرية، بل أنهم سارعوا إلى تأسيس حركة مضادة أسموها "أحباب الديموقراطية".

وهكذا ابتعد الحزب الشيوعي عن الواقع الجزائري، وعلى هذا الاساس ذكر أمينه العام "العربي بوهالي" كان الشيوعيون في الجزائر يعيشون في عزلة عن الحركة النضالية، بل وفي تناقض معها[1].

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية، وما نتج عنها من تطورات على الساحة الجزائرية (أحداث ماي) والساحة الدولية (ميل فرنسا إلى المعسكر الرأسمالي)، أرغمت قيادة الحزب الشيوعي الجزائري على إعادة النظر في سائر المواقف الشيوعية، وإلى تقييم المراحل المقطوعة منذ بداية الثلاثينات، وهو العمل الذي جسده نداء صدر بتاريخ 1946/07/21، وأهم ما جاء فيه : "أن الحزب الشيوعي الجزائري هو الحزب الوحيد الممثل للأمة الجزائرية التي هي في طور التكوين"[2]، وعلى هذا الأساس، فهو يرى أن الحل الأوحد بالنسبة للقضية الجزائرية يتمثل في تحويل الجزائر إلى شريك لفرنسا في إطار الاتحاد الفرنسي[3].

وعلى الرغم من محدودية الحزب الشيوعي، إلا أنه شكل أحد العناصر الأكثر حيوية المروجة للأفكار الجديدة، حيث ساعد على ترسيخ أساليب تنظيمية عصرية في صفوف العمال، ولاسيما فيما يخص العمل النقابي، كما فتح أبواب قيادته الوطنية لعدد من الشباب الجزائري المسلم المتعلم، وجعل من العمال الجزائريين قوة إضافية للحركة الوطنية.

---

[1] العربي الزبيري، المرجع السابق، ص230.

[2] فكرة الأمة الجزائرية في طور التكوين "طرحها موريس توريز الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي، سنة 1939 عند تحديده لمفهوم الجزائر والتي اعتبرها خليطا من العناصر الأوربية البربرية ينظر : (محمد جربتي، المرجع السابق، ص113).

[3] العربي الزبيري، المرجع السابق، ص230.